تأثير العلاقات الروسية الأوكرانية على مولدوفا وإقليم (ترانسنيستريا)

٢٠٠٥_٢٠١٩

The impact of Russian-Ukrainian relations on Moldova and the region of Transnistria ، ٢٠٠٥_٢٠١٩

حذيفة اياد ابراهيم

Huthaifa Ayad Ibrahim

جامعة سامراء / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

أ.د. علاء طه ياسين

Prlf . Alaa Taha Yassin

جامعة سامراء / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

الكلمات المفتاحية، روسيا، أوكرانيا، مولدوفا، إقليم ترانسدنيستريا، الثورة البرتقالية، ثورة الميدان الأوروبي.

Keywords ،Russia ،Ukraine ،Moldova ،Transnistria Region ،Orange Revolution ،Euromaidan Revolution

الخلاصة

شـكلت العلاقات بين روسـيا وأوكرانيا في الفترة بين 2019–2004عاملًا حاسـمًا في توجيه تطورات مولدوفا وأزمة ترانسـنيسـتريا، إذ عبّرت هذه الفترة عن تنافس أوسـع بين النفوذ الروسـي والرغبة الأوروبية في شـرق أوروبا. سـياسـيًا، أدّت التحولات في مواقف أوكرانيا من الغرب إلى تغيّرات في التوجهات الداخلية في مولدوفا؛ فقد دفعت الثورة البرتقالية بعض القوى نحو التقارب الأوروبي، بينما أدّت عودة النفوذ الروسـي في أوكرانيا خلال عقد ٢٠١٠ إلى زيادة الانقسـامات بين مؤيدي الغرب والموالين لموسـكو داخل السـاحة المولدوفية، وتفاعل ذلك مع السياسة الأوكرانية تجاه النزاع الترانسنيستري ووحدة الأراضـي المولدوفية. ظلّ ترانسنيستريا نقطة مركزية في الاسـتراتيجية الروسـية تجاه مولدوفا، إذ يدعم الوجود الروسـي المسـتمر الإقليم الانفصـالي ليبقى مجمّدًا، ما يُسـتخدم كورقة نفوذ في مواجهة التكامل الأوروبي المتنامي في المنطقة ويثير قلقًا أمنيًا في كيشيناو ودول الجوار. كما أثّرت توترات موسكو-كييف على مولدوفا عبر أزمات الطاقة والتجارة، إذ أدّت الخلافات بين روسـيا وأوكرانيا إلى انقطاع إمدادات الغاز ونقص في الطاقة، في حين أدّت إجراءات تنسـيق أوكرانيا مع الاتحاد الأوروبي على الحدود مع ترانسـنيسـتريا إلى تعطيل التجارة غير الرسـمية، وردّت روسـيا بفرض عقوبات على صـادرات مولدوفا الحيوية مثل النبيذ والفواكه، وهو ضـغط اقتصـادي ذو دلالات سياسـية، وتغيّرت مواقف أوكرانيا تجاه مولدوفا وترانسنيستريا تبعًا لمسار سياستها الخارجية، فمن دعم لوحدة الأراضـي وتقارب مع كيشـيناو إلى موقف أقرب لروسـيا في بعض الفترات، ثم تعزيز التعاون بعد ٢٠١٤ للحد من تهريب السـلع العسـكرية عبر الحدود، مما أسـهم في دعم سـيادة مولدوفا رغم اسـتمرار النزاع المجمد.

Abstract

Relations between Russia and Ukraine during the period 2004–2019 played a decisive role in shaping developments in Moldova and the crisis in Transnistria، reflecting a broader competition between Russian influence and European aspirations in Eastern Europe. Politically، shifts in Ukraine’s orientation toward the West led to changes in Moldova’s internal political direction. The Orange Revolution encouraged some Moldovan political forces to move closer to Europe، while the resurgence of Russian

influence in Ukraine during the 2010s deepened divisions within Moldova between pro-Western supporters and those favoring traditional ties with Moscow. These dynamics also interacted with Ukraine's policies toward the Transnistrian conflict and Moldova's territorial integrity.

Transnistria remained a central element in Russia's strategy toward Moldova، as the continued Russian military presence supports the separatist region and helps keep the conflict frozen. This situation serves as a geopolitical lever for Moscow in countering growing European integration in the region and raises security concerns in Chișinău and neighboring states. At the same time، tensions between Moscow and Kyiv affected Moldova through energy and trade disruptions. Disputes between Russia and Ukraine led to interruptions in gas supplies and energy shortages، while Ukraine's coordination with the European Union to tighten border controls with Transnistria disrupted informal trade networks. In response، Russia imposed sanctions on key Moldovan exports such as wine and fruit، using economic pressure with clear political implications، Ukraine's stance toward Moldova and Transnistria also shifted according to the direction of its foreign policy—ranging from support for Moldova's territorial integrity and closer cooperation with Chișinău، to periods of alignment closer to Moscow، and then renewed cooperation after 2014 aimed at curbing the smuggling of military goods across the border. These measures contributed to supporting Moldovan sovereignty، despite the continued existence of the frozen conflict.

المقدمة

واجهت جمهورية مولدوفا، البلد الصـــغير الواقع بين أوكرانيا ورومانيا، صدمات وتحديات جيوبوليتيكية نتاج التغيّرات في العلاقات بين روسيا وأوكرانيا منذ أوائل القرن الحادي والعشـــرين. تقع مولدوفا على حدود الاتحاد الأوروبي وتمتلك تاريخًا مشتركًا مع كل من روسيا وأوكرانيا في الحقبة السوفييتية، ما جعَل التوترات بين موسكو وكييف تمتد مباشرةً إلى وضعها الداخلي وأمنها الخارجي اذ شهدت هذه الفترة تحوّلات سياسية داخل مولدوفا مرتبطة بتغيرات السياسة الخارجية الأوكرانية؛ فعقب الثورة البرتقالية في أوكرانيا عام ٢٠٠٤، ازداد الدعم للاتجاهات المؤيدة للغرب في كييف، مما دفع صناع القرار في مولدوفا لإعادة تقييم سياساتهم الدفاعية والاقتصـــادية تجاه روســـيا والاتحاد الأوروبي. وقد أثّر هذا التحوّل الأوكراني في تعزيز قوى داخل مولدوفا تميل نحو التكامل الأوروبي بدل الحفاظ على ارتباط وثيق بموسكو .

كما لعب النزاع المســتمر في ترانســنيســتريا الانفصـــالية دورًا مركزيًا في علاقات مولدوفا الخارجية، إذ بقي هذا الإقليم، المدعوم سياسيًا وعسكريًا من روسيا، نقطة توتر دائمة بين كييف وكيشـــيناو وموســكو. الاســتراتيجية الروســية في دعم ترانسنيستريا ساهمت في إبقاء النزاع في حالة تجمّد ورفعت من رهانات الأمن في منطقتَي الحدود الروسية-الأوكرانية والمولدوفية .

وعلى صعيد العلاقات الثنائية، أدّت تحولات السياسة الخارجية الأوكرانية إلى تغيير مواقف كييف تجاه ترانسنيستريا ومولدوفا، فكلّما اتّجهت أوكرانيا نحو الغرب، اتّسع نطاق التعاون مع كيشيناو في السعي لحل النزاع الترانسنيستري بشكل ينسجم مع وحدة الأراضي ودعم سياسات تكاملية مع أوروبا. وبالعكس، فإن فترات التقارب بين كييف وموســكو أســهمت في تخفيف الضــغط على الانفصـــاليين وإبطاء وتيرة المفاوضات السياسية لوقف النزاع نهائيًا.

أولا، التحوّلات السياسية في العلاقات الروسية الاوكرانية ٢٠٠٥–٢٠١٣،

بعد الثورة البرتقالية دخلت أوكرانيا مرحلة إعادة تعريف لهويتها السياسية والاستراتيجية، وهو ما انعكس مباشرة على علاقتها مع روسيا .فالحكومات المتعاقبة في كييف بين ٢٠٠٥ و٢٠١٠ حاولت موازنة العلاقة بين موسكو من جهة، والسعي للتكامل مع الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي من جهة أخرى. هذا التذبذب لم يكن مجرد سياسة خارجية، بل عكس انقسامًا عميقًا داخل المجتمع الأوكراني بين غرب البلاد الأكثر ميلاً لأوروبا، وشرقها وجنوبها حيث الروابط اللغوية والاقتصادية مع روسيا أقوى. لذلك ظلت العلاقة مع موسكو تتسم بالتوتر الكامن، خصوصًا في ملفات الطاقة، والأسطول الروسي في القرم، ومستقبل الشراكات الأمنية (مخيمر، ٢٠٢٣، ١٩).

أعادت عودة فيكتور يانوكوفيتش إلى الرئاسة عام ٢٠١٠ أوكرانيا مؤقتًا إلى مسار أكثر تقاربًا مع موسكو، حيث وُقِّعت اتفاقية خاركوف التي مدّدت بقاء الأسطول الروسي في القرم مقابل تخفيض أسعار الغاز. إلا أن هذا التقارب لم يُنهِ التوتر البنيوي، لأن قطاعات واسعة من النخبة السياسية والمجتمع ظلت ترى مستقبل أوكرانيا في الاندماج الأوروبي. وهكذا بقيت السياسة الأوكرانية بين ٢٠١٠ و٢٠١٣ حالة توازن هش بين مسارين متناقضين، ما جعل البلاد عرضة لانفجار سياسي عند أول صدمة كبرى (ماركسين، ٢٠٢٢، ٤٨).

ثانيا، أزمة ٢٠١٣–٢٠١٤ والحرب في دونباس،

جاءت الصدمة عندما قررت حكومة يانوكوفيتش في نوفمبر ٢٠١٣ تعليق توقيع اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي. هذا القرار فجّر احتجاجات الميدان الأوروبي في كييف، التي تحولت سريعًا من حركة مؤيدة لأوروبا إلى ثورة سياسية ضد الفساد والاستبداد. ومع تصاعد القمع وسقوط قتلى، انهارت شرعية النظام، وفرّ يانوكوفيتش في فبراير ٢٠١٤، لتتشكل سلطة جديدة أعلنت بوضوح توجهها الأوروبي فرأت موسكو في هذه التطورات تهديدًا مباشرًا لنفوذها الاستراتيجي،

فبادرت في مارس ٢٠١٤ إلى السيطرة على شبه جزيرة القرم وضمّها بعد استفتاء لم تعترف به كييف ولا المجتمع الدولي. هذا الحدث شكّل نقطة الانهيار الكلي في العلاقات الثنائية، إذ اعتبرته أوكرانيا والغرب انتهاكًا للقانون الدولي وللسيادة الأوكرانية، بينما اعتبرته روسيا حماية لمصالحها الأمنية وسكان القرم الناطقين بالروسية (صابر، ٢٠٢٢، ٨٩).

بالتوازي مع أزمة القرم، اندلع تمرد مسلح في إقليم دونباس شرقي أوكرانيا، خصوصًا في دونيتسك ولوهانسك دعمت روسيا سياسيًا وعسكريًا ولوجستيًا الجماعات الانفصالية هناك، بينما خاضت كييف ما سمّته "عملية مكافحة الإرهاب" لاستعادة السيطرة. تحوّل النزاع إلى حرب منخفضة الحدة لكنها مستمرة، خلّفت آلاف القتلى وملايين النازحين، وأدخلت العلاقة الروسية-الأوكرانية في حالة عداء مفتوح طويل الأمد. كما فرضت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي عقوبات اقتصادية واسعة على روسيا، ما عمّق القطيعة السياسية والاقتصادية. (بردودي، ٢٠١٥، ٧٠).

في محاولة لوقف التصعيد، أُطلقت مسارات تفاوضية عُرفت باسم اتفاقيات مينسك .الاتفاق الأول في سبتمبر ٢٠١٤ تضمّن وقفًا لإطلاق النار، تبادل أسرى، ومنطقة عازلة، لكنه انهار سريعًا بسبب استمرار القتال. لذلك تم التوصل إلى مينسك الثانية في فبراير ٢٠١٥ بوساطة فرنسية-ألمانية ضمن "صيغة نورماندي"، وبمشاركة أوكرانيا وروسيا. نصّ الاتفاق على وقف إطلاق نار شامل، وسحب الأسلحة الثقيلة، وإصلاح دستوري يمنح دونباس حكمًا ذاتيًا خاصًا، واستعادة أوكرانيا السيطرة على حدودها مع روسيا في مرحلة لاحقة إلا أن تطبيق الاتفاق واجه عقبات عميقة. فكييف ربطت أي وضع خاص لدونباس بعودة السيطرة على الحدود أولًا، بينما أصرت موسكو والانفصاليون على تنفيذ الحكم الذاتي والانتخابات المحلية قبل تسليم الحدود. هذا الخلاف في ترتيب الخطوات جعل الاتفاق يتحول إلى إطار لخفض

العنف أكثر منه طريقًا لتسوية سياسية نهائية. وهكذا استمر النزاع "مجمّدًا ساخنًا"؛ القتال ينخفض ويصعد، لكن دون حل جذري. (بردودي، ٢٠١٥، ٧٢).

ثالثا، التأثير السياسي على مولدوفا،

أثرت التقلبات في العلاقات بين روسـيا واوكرانيا على التوجهات السـياسـية الداخلية لمولدوفا بصـورة واضـحة، ففي أعقاب الثورة البرتقالية ٢٠٠٤ وتولي قيادة أوكرانيـة مواليـة للغرب، فقدت روسـيا أحد حلفائها الإقليميين، ممـا دفع القيـادة المولدوفية آنذاك إلى تعديل بوصـلتها الإسـتراتيجية، اختار الرئيس المولدوفي الشـيوعي فلاديمير فورونينVladimir Voronin ، الذي كان يتبع نهجًا متوازنًا بين روسـيا والغرب أواخر ٢٠٠٤ تبني خطاب أكثر تقاربًا مع أوروبا عشـية الانتخابات البرلمانية ٢٠٠٥، هذا التحول مدفوعًا بنجاح الثورة البرتقالية في أوكرانيا والتي أظهرت توجه اوكرانيا نحو الشـراكة مع الاتحاد الأوروبي وحلف شـمال الأطلسي (Miklasová, 2022, 99).

خاض الحزب الشـيوعي المولدوفي الحاكم انتخابات ٢٠٠٥ ببرنامج مؤيد للتكامل الأوروبي، وفاز بها مسـتفيدًا من دعم الناخبين لهذا التوجه الجديد، وكانت النتيجة الأبرز أن المشـهد الحزبي بأكمله في مولدوفا اتخذ موقفًا مواليًا لأوروبا بعد تلك الانتخابات، فبحلول ٢٠٠٥ تبنّت جميع الأحزاب الممثلة في البرلمان هدف التكامل الأوروبي، على عكس ما كان عليه الوضـع في ٢٠٠١ حين ناقش الحزب الشـيوعي فكرة الانضـمام إلى اتحاد مع روسـيا وبيلاروسـيا هذا التحول السـياسـي الداخلي عكس بوضـوح أثر التغير في سـياسـة أوكرانيا الإقليمية، فبدعم أوكرانيا ما بعد الثورة البرتقالية لمبادرات الاتحاد الأوروبي في الجوار، وجدت مولدوفا فرصـة للابتعاد عن العزلة واسـتغلال الزخم الإقليمي للسـير على نهج إصـلاحي موالٍ للغرب(Halitoğlu, 2018, 76).

عندما انعكســت الأمور في أوكرانيا عام ٢٠١٠، انعكســت بدورها على مولدوفا، فعندما تولى فيكتور يانوكوفيتش المعروف بتوجهاته المقرّبة من روســيا رئاســة أوكرانيا في ٢٠١٠، تغيرت ســياســة اوكرانيا تجاه النزاع المولدوفي الترانسدنيستري، اذ عادت أوكرانيا لتتبنى مواقف أكثر انسجامًا مع رؤية روسيا، ما أدى إلى فتور الزخم الغربي في جهود تسوية قضية ترانسنيستريا، خلال تلك الفترة دعمت اوكرانيا نهج "الخطوات الصــغيرة" في إطار مفاوضــات تضــم مولدوفا وترانسنيستريا وروسيا وأوكرانيا برعاية منظمة الأمن والتعاون الأوروبي وبمشاركة مراقبين من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وهو تكتيك ركّز على إجراءات بناء الثقة بدلًا من حلول سياسية شاملة، الأمر الذي اعتبره البعض تكريسًا للوضع القائم المجمّد.(Halitoğlu, 2018, 76).

تميزت الســنوات ٢٠٠٩–٢٠١٣ بمرحلة حكم ائتلافي مؤيد لأوروبا، تخللتها أزمات ســياســية داخلية، لكن اتجاه البلاد الإســتراتيجي نحو الشــراكة مع الاتحاد الأوروبي استمر راسخًا، ومع ذلك، استمرت الإنقسامات في المجتمع المولدوفي بين معسكرين أحدهما يرى مستقبله مع أوروبا والآخر يحن للعلاقات التقليدية مع روسيا هذه الانقســامات تعمقت لاحقًا مع تفجر الأزمة الأوكرانية في ٢٠١٤، اذ بات النقاش الداخلي في مولدوفا يدور حول كيفية تفادي عدم الاستقرار في ظل تصاعد المواجهة الروسية-الأوكرانية (Makhluha, 2023, 39).

رابعا، تأثير الوجود العسكري الروسي في ترانسنيستريا،

منذ وقف إطلاق النار في حرب ترانسنيستريا عام ١٩٩٢ أبقت روسيا قواتٍ عســكرية في هذا الإقليم الانفصــالي داخل مولدوفا، بدور حفظ الســلام يتراوح عدد الجنود الروس في ترانسنيستريا حول 1، 500جندي تقريبًا، منهم بضع مئات يعملون ضــمن قوات حفظ ســلام ثلاثية مولدوفية-روســية-ترانســدنيســترية بموجب اتفاق ١٩٩٢، (منصور، ٢٠٢٢) بينما البقية يتبعون مباشرةً لمجموعة العمليات العسكرية الروسية التي تحرس مستودعات الذخيرة الضخمة وتدعم سلطات ترانسنيستريا، هذا

الوجود العسكري الروسي المستمر يلاقي اعتراضا من مولدوفا التي تعتبره احتلالًا غير شرعي لأراضيها (Ivan RADU, 2019, 69)،

إن تواجد القوات الروسية في ترانسنيستريا لعقود ساهم في تجميد النزاع ومنع إعادة دمج الإقليم مع الدولة المولدوفية فهذا الوجود يُعطي سلطات ترانسنيستريا ضمانة أمنية وغطاءً فعليًا لاستمرار انفصالها بحكم الأمر الواقع، مما يُثنيها عن تقديم أي تنازلات حقيقية في المفاوضات، وان الجنود الروس المنتشرين في ترانسنيستريا يعززون تعنّت السلطة الانفصالية ويرسخون مقاومتها لإعادة الاندماج مع مولدوفا فتحوّل هذا الوجود العسكري إلى ورقة ضغط جيوسياسية تستخدمها روسيا لإبقاء مولدوفا في فلكها؛ فالإقليم الانفصالي المدعوم روسيًّا يوفر للكرملين نفوذًا مستمرًا على مولدوفا ويحول دون حسم مولدوفا لخياراتها الإستراتيجية، وقد استفادت روسيا من هذا الوضع للمماطلة في تنفيذ التزاماتها الدولية بسحب قواتها مثل تعهداتها في قمّة منظمة الأمن والتعاون الأوروبي بإسطنبول ١٩٩٩ بحجة ضرورة التوصل إلى تسوية سياسية نهائية قبل الانسحاب(. Ivan RADU, 2019, 69)

بعد نشوب الأزمة الأوكرانية عكست رغبة مولدوفا في توطيد العلاقات الأمنية مع الغرب، لا يضطلع الناتو بدور رسمي في آلية مفاوضات ترانسدنيستريا، إذ تُترك هذه المهمة لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي ورغم ذلك، فإن تصاعد التوتر شرقًا أثار مخاوف الحلف من احتمال توسع النفوذ العسكري الروسي عبر ترانسنيستريا، في اذار ٢٠١٤ أشار القائد الأعلى لقوات الناتو في أوروبا الجنرال فيليب بريدلاف إلى حشد قوات روسية على حدود أوكرانيا قد تمكن الكرملين من اجتياح إقليم ترانسنيستريا بسهولة إذا ارادت، وقد أثارت تلك التصريحات قلقًا بالغًا في مولدوفا ودول الجوار، لا سيما وأن القيادة الانفصالية في ترانسنيستريا ناشدت روسيا رسميًا ضمّ الإقليم إلى روسيا بعد أيام من ضم القرم في ٢٠١٤ (YILMAZ, 2024،2024, 59)

كثّفت مولدوفا تعاونها مع شـركائها الغربيين في مجالات الأمن السـيبراني وتحديث الدفاع، واسـتضـافت مكتب ارتباط مدني لحلف الناتو في كيشـيناو أُفتتح عام ٢٠١٧ بهدف تعزيز الإصلاح الدفاعي (Köller & Scherbak, 2022, 4)،

خامسا، التأثير الاقتصادي على مولدوفا،

تأثرت مولدوفا بالتبعات الاقتصـادية للنزاعات بين روسـيا وأوكرانيا، لاسـيما في مجالات الطاقة والتجارة والنقل اعتمدت مولدوفا بشـكل شـبه كلي على اسـتيراد موارد الطاقة الغاز الطبيعي والنفط من روسيا عبر الأراضـي الأوكرانية لذلك فعندما اندلعت أزمات الغاز بين روسـيا واوكرانيا في الأعوام ٢٠٠٦ و٢٠٠٩، واجهت مولدوفا شـتاءً قارسًـا بلا إمدادات كافية وقد أدت تلك الخلافات الروسـية-الأوكرانية التي تسببت بانقطاع إمدادات الغاز الروسي لأوروبا مؤقتًا إلى قطع الغاز عن مولدوفا لأيام عديدة خلال برد الشـتاء القاسـي، مما ترك عشـرات الآلاف من المواطنين المولدوفيين دون تدفئة (ليفنغستون، ٢٠٢٥، ٢٢).

على صـعيد التجارة والنقل، تأثرت مولدوفا وترانسنيستريا بالأحداث الإقليمية بعدة طرق، بعد الثورة البرتقالية في أوكرانيا، بدأت اوكرانيا تنسـق مع الاتحاد الأوروبي ومولدوفا لضـبط الحدود مع إقليم ترانسـنيسـتريا الذي كان منفذًا لتهريب البضـائع والأسـلحة وفي اذار ٢٠٠٦ اتخذت أوكرانيا خطوة حاسـمة بتنفيذ نظام جمركي جديد يشـترط مرور صـادرات ترانسـنيسـتريا عبر الجمارك المولدوفية الشرعية هذا الإجراء الذي دعمه الاتحاد الأوروبي عبر بعثة المساعدة الحدودية التي انطلقت أواخر ٢٠٠٥ أغلق أبواب التجارة غير المشـروعة التي كانت تمثل شـريان حياة للسلطات الانفصـالية، وأثار غضـب تلك السلطات وروسيا التي اعتبرت الأمر حصارًا اقتصاديًا بالتوازي، فرضت روسيا نفسها عقوبات تجارية على مولدوفا عقابًا لها على تقاربها مع الغرب ففي ٢٠٠٥–٢٠٠٦ حظرت روسـيا اسـتيراد اللحوم والفاكهة المولدوفية ثم وسّعت الحظر ليشمل النبيذ المولدوفي الشهير، موجهةً ضربة موجعة لقطاع تصديري حيوي في مولدوفا.(Daniel, 2024, 88)

اعتُبر الحظر الروسي آنذاك ضغطًا سياسيًا واضحًا يهدف لثني كيشيناو عن توجهها الموالي لأوروبا وعلى الرغم من أن مولدوفا تمكنت من إيجاد أســواق بديلة جزئيًا خصوصًا في رومانيا المجاورة، فإن الاقتصاد المولدوفي تكبّد خسائر ملحوظة من جراء تلك العقوبات (اوزيلي، ٢٠٢٢، ٥).

مع توقيع مولدوفا اتفاقية الشراكة والتجارة الحرة العميقة مع الاتحاد الأوروبي بعد عام ٢٠١٤ تصــاعد البعد الاقتصــادي في لعبة الشــد والجذب الإقليمية فروســيا أعادت فرض حظر على المنتجات الزراعية المولدوفية في ٢٠١٤ ردًا على انخراط مولدوفا في الاتفاقية الأوروبية، كما فرضت قيودًا على حركة العمالة المولدوفية على أراضيها غير أن مولدوفا صمدت في المسار الأوروبي وعوضت الكثير من خسائر الســوق الروســية عبر إعادة توجيه صــادراتها نحو الأســواق الأوروبية وأن حصــة روســيا في إجمالي الصــادرات المولدوفية تراجعت بشــكل كبير بعد ٢٠١٤ مقابل ازدياد نصيب الاتحاد الأوروبي(Miklasová, 2022, 4).

حتى إقليم ترانسنيستريا نفسه، وبفعل إغلاق أوكرانيا منافذ تهريب التصدير وتأقلم نخب الإقليم مع الواقع الجديد، اضــطر إلى تعميق روابطه التجارية مع الاتحاد الأوروبي عبر مولدوفا؛ اذ تســجلت مئات الشــركات الترانســدنيســترية رســميًا في كيشــيناو للاســتفادة من نظام التجارة الحرة مع أوروبا وفي الوقت ذاته، أدت الأزمة الأوكرانية إلى اضطراب في خطوط النقل الإقليمية إذ أغلقت أوكرانيا خطوط السكك الحديدية المؤدية إلى روسيا عبر دونباس، مما غيّر مسارات نقل البضائع في المنطقة وعلى الرغم من أن مولدوفا ليست على خطوط المواجهة المباشرة، إلا أن اضطراب العلاقات الروسية-الأوكرانية أعاد رسم خرائط النقل والتجارة في محيطها، فأصبح الاعتماد أكبر على الطرق الرومانية والأوروبية لنقل بضائع مولدوفا وترانسنيستريا إلى الأسواق، وتقلصت أهمية الموانئ الأوكرانية بالنسبة لاقتصاد الإقليم الانفصالي بعد أن فقد الوصول المباشر إليها(الصوراني، ٢٠٢٤).

سـادسـا، مواقف أوكرانيا في ظل تغير سـياسـاتها الخارجية تجاه ترانسـنيسـتريا ومولدوفا،

تغيرت سـياسـة أوكرانيا تجاه نزاع ترانسـنيسـتريا وموقفها من مولدوفا تبعًا للخط العام للسـياسـة الخارجية الأوكرانية في كل مرحلة، وقد ترك ذلك بصـمات واضـحة على مجريات الأمور، فبعد الثورة البرتقالية ٢٠٠٤، تبنى الرئيس فيكتور يوشـينكو نهج التقارب مع الغرب، وانخرطت أوكرانيا بشـكل بنّاء في حل قضـية ترانسـنيسـتريا إلى جانب مولدوفا تجلّى ذلك في عدة خطوات أبرزها طرح مبادرة يوشينكو للسلام ٢٠٠٥، والمشاركة الأوكرانية النشطة في إطلاق بعثة مراقبة الحدود الأوروبية لمراقبة المعابر مع ترانسـنيسـتريا ولأول مرة، بدأت اوكرانيا تأخذ بعين الاعتبار هواجس كيشـيناو بدلًا من مجاملة روسـيا وتيراسـبول؛ فلم تعد توافق تلقائيًا على جميع المقترحات الروسية في محادثات التسوية Emerson & Vahl, 2014, (170)

وقد أثمرت هذه السياسة الأوكرانية الجديدة عن تغيير معادلة التفاوض لصالح مولدوفا، إذ انتقلت أوكرانيا من موقع الشـريك التقليدي لروسـيا في الملف إلى شـريك أقرب لمولدوفا كما عزز يوشـينكو تعاون بلاده مع رومانيا ومولدوفا ورفض تغيير الحدود بالقوة ويدين اسـتمرار النزاعات الانفصـالية في إشـارة واضـحة إلى ترانسنيستريا.(Telenko & Prysiazhniuk، 2021، 234)

في حقبة فيكتور يانوكوفيتش شـهدت السـياسـة الأوكرانية تحولًا واضـحًا في اتجاهها الخارجي؛ إذ تراجعت أوكرانيا خلال تلك السـنوات عن مسـار التقارب مع حلف الناتو والاتحاد الأوروبي، واتجهت نحو تعزيز علاقاتها مع روسـيا وفي هذا السـياق، انعكس هذا التحول على موقفها من قضـية ترانسـنيسـتريا؛ حيث اقتربت أوكرانيا عمليًا من الرؤية الروسـية تجاه الإقليم فقد اتسـمت حكومة يانوكوفيتش بقدر أقل تجاه فرض عقوبات على الاقليم، وفضّـلت بدلاً من ذلك اعتماد نهج يقوم على الخطوات التدريجية في المفاوضـات بدل الدفع نحو حلول شـاملة وسريعة كما شـهدت

المرحلة ذاتها تراجعًا فعليًا في بعض إجراءات التعاون الحدودي التي كانت مطبقة سـابقًا؛ إذ انه خلال ٢٠١٢–٢٠١٣ تسـاهلت السـلطات الأوكرانية مع مرور بعض السلع إلى ترانسنيستريا دون الحصـول على الختم الجمركي المولدوفي، الأمر الذي فُسِّر بوصـفه محاولة لتخفيف الضـغط الاقتصـادي عن الإقليم بما ينسـجم مع الرغبة الروسية(www.osw.waw، 2020)

إن أوكرانيـا في تلـك الفترة تبنـت نهجًـا أقرب إلى الحيـاد في قضـــيـة ترانسـنيسـتريا، فلم تمارس نفوذًا يذكر لدفع التسـوية بل حافظت على الوضـع القائم، مما صبّ ضمنيًا في مصلحة روسيا والإقليم الانفصالي وكانت هذه السياسة جزءًا من صـفقة سـياسـية أشـمل بين اوكرانيا وروسـيا مثل اتفاقية خاركوف ٢٠١٠ لتمديد بقاء الأسطول الروسي بالقرم مقابل تخفيض أسعار الغاز، اذ بدا أن أهمية مولدوفا كورقة إقليميـة تراجعـت في حســـابـات روســـيـا بعـد قـدوم نظـام يـانوكوفيتش الموالي لها(Rogstad, 2018, 64)،.

بعد ثورة الميدان واندلاع الحرب في ٢٠١٤، عادت أوكرانيا بقيادة الرئيس بترو بوروشـينكو إلى مسـار مؤيد بقوة لمولدوفا ووحدة أراضـيها قطع بوروشـينكو وحكومته الروابط السـياسـية مع تيراسـبول التي اعتُبرت حليفًا لروسـيا في زعزعة اسـتقرار جنوب غرب أوكرانيا وقد صـرّح بوروشـينكو بوضـوح عام ٢٠١٤ أن جمهورية ترانسنيستريا المزعومة غير موجودة، بل هو مجرد اسم لمنطقة على حدود أوكرانيا ومولدوفا وهو تأكيد على عدم اعتراف اوكرانيا بأي سـيادة لترانسـنيسـتريا، وانحيازها التام لسلامة أراضي مولدوفا(Miklasová, 2022, 6)،

شددت أوكرانيا إجراءاتها تجاه إقليم ترانسنيستريا بعد عام ٢٠١٤ بشكل كبير فقد أغلقت حدودها أمام مرور الإمدادات العسـكرية الروسـية المتجهة إلى الإقليم، وبذلك أنهت سياسة التساهل التي كانت موجودة في السنوات السابقة ونتيجة لذلك، لم تعد القوات الروسـية قادرة على المرور عبر الأراضـي الأوكرانية لتبديل وحداتها أو الوصـول إلى ترانسـنيسـتريا، الأمر الذي أجبرها على محاولة الاعتماد على مطار

كيشـــيناو في مولدوفا، وهو خيار كان يصـــطدم غالبًا برفض الســـلطات المولدوفية السماح بدخول عناصر عسكرية روسية وفي الوقت نفسه، عززت أوكرانيا تعاونها مع مولدوفا عبر إنشاء نقاط تفتيش ومراقبة حدودية مشتركة على المنافذ المؤدية إلى ترانسنيستريا، بهدف تثبيت وجود السلطات المولدوفية على الحدود والحد من تهريب السلع والبضائع (Rogstad, 2018, 49)

ســابعا، تأثير العلاقات الروســية الأوكرانية على مولدوفا وإقليم (ترانســنيســتريا) ٢٠١٤-٢٠١٩،

دخلت العلاقات روســيا–أوكرانيا منذ عام ٢٠١٤ مرحلة صــدام مفتوح (بعد ضـمّ القرم واندلاع حرب دونباس)، وهذا انعكس مباشـرة على وضـع مولدوفا وإقليم ترانســنيســتريا لأن الإقليم يقع عمليًا بين جغرافيا الحرب وممرات الطاقة والتجارة. النتيجة خلال ٢٠١٤–٢٠١٩ كانت "إعادة ضبط" بيئة الأمن والاقتصاد في مولدوفا، ازداد حسّ الخطر من أي سـيناريو توسّـع روسـي أو اسـتخدام الإقليم كورقة ضـغط، وفي المقابل تعزّزت رغبة كيشــيناو في تقوية الشــراكات الأوروبية-الغربية وإحكام الرقابة على الحدود مع الاقليم(Luciani, 2015, 22).،

جعل تدهور علاقة موسكو وكييف ترانسنيستريا أكثر حساسية لأن في الإقليم وجودًا عسكريًا روسيًا (قوات/بعثة حفظ سلام ومخزون ذخائر كبير في كوباسنا) ظلّ محلّ خلاف مزمن. في سياق ما بعد ٢٠١٤، أصبحت حركة الإمداد للقوات الروسية أكثر صعوبة بفعل تشدد أوكرانيا على حدودها ورفضها تسهيل المرور، ما زاد عزلة الوجود العســكري الروســي داخل الإقليم وخفّض هامش المناورة اللوجســتي. هذا التصـعيد أعاد تجميد النزاع بصـورة أشـد فبدل أن يكون ملف ترانسـنيسـتريا مسـار تفاوضــي منفصــل نسـبيًا، صــار يتأثر مباشــرة بالاسـتقطاب الروســي–الأوكراني وبحسابات الأمن الإقليمي (خزار، ٢٠٢١، ٩٨).

تعاملت بعثة الاتحاد الأوروبي للمســاعدة الحدودية لمولدوفا وأوكرانيا مع أولوية تجفيف التهريب وإغلاق الثغرات الجمركية على الجزء الحدودي الذي تسيطر

عليه سلطات ترانسنيستريا. ومع اشتداد القطيعة الروسية–الأوكرانية، تقاربت كييف وكيشـــيناو أكثر في ترتيبات الضـــبط الحدودي؛ ومن أبرز الأمثلة تفعيل وتوســـيع إجراءات الرقابة المشتركة عند معبر كوتشورغان–بيرفومايسك، ما قيّد حركة السلع غير المعلنة ورفع تكلفة الاقتصـــاد الموازي الذي اســـتفاد طويلًا من غموض وضـــع الإقليم. هذا لم يكن مجرد إجراء تقني؛ بل كان أثرًا غير مباشـــر للحرب الروســـية– الأوكرانية فأوكرانيا صارت ترى أي فراغ رقابي قرب أوديسا خطرًا أمنيًا، ومولدوفا رأت فرصة لتقوية سيادتها الاقتصادية (خزار، ٢٠٢١، ٩٩).

على مستوى التجارة الخارجية، كان عام ٢٠١٤ مفصـليًا لأن مولدوفا وقّعت اتفاقية الشـراكة مع الاتحاد الأوروبي بما فيها منطقة التجارة الحرة العميقة والشـاملة خلال ٢٠١٤–٢٠١٩ أخذت ترتيبات هذه الاتفاقية تؤثر تدريجيًا على ترانسـنيسـتريا أيضًـــا (بحكم أن صـــادرات الإقليم تمر عمليًا عبر قنوات مرتبطة بمولدوفا/الاتحاد الأوروبي)، ما خلق ضـغطًا تنظيميًا على شركات الإقليم إمّا التكيّف مع قواعد المنشأ والمعايير الأوروبية، أو خسـارة الامتيازات والتفضـيلات بمعنى آخر، تدهور العلاقة الروســـية–الأوكرانية دفع الإقليم أكثر إلى الاعتماد على منافذ بديلة ومنها الســـوق الأوروبية عبر مولدوفا، في وقت كانت فيه موسـكو تسـتخدم أدوات اقتصـادية وطاقة لتثبيت النفوذ هذا التداخل بين الجغرافيا السياسية والتجارة جعل الاقتصاد في مولدوفا وترانسـنيسـتريا يتحركان بين جاذبية السـوق الأوروبية ورافعات الضـغط الروسـية (حيدر، ٢٠٢٠، ١٠٨).

شهد مسار التسوية في صيغة "٥+٢" (مولدوفا، ترانسنيستريا، منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، روســـيا، أوكرانيا، مع مراقبة الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة) عودة زخم عملي نســـبيًا في ٢٠١٦–٢٠١٨ عبر "حزمة الثمانية "التي ركزت على إجراءات بناء ثقة ملموسة لكن هذا الزخم ظلّ هشًا لأن استمرار التوتر الروسي–الأوكراني جعل القضـايا الكبرى أصـعب سياسـيًا، بينما يُترك المجال غالبًا لترتيبات صـــغيرة قابلة للتنفيذ. لذا يمكن القول إن ٢٠١٤–٢٠١٩ كانت فترة إدارة

النزاع أكثر من حله تقدم في ملفات تقنية، مقابل انسـداد في الملفات السـيادية-الأمنية الثقيلة(Yılmaz, 2023, 43) .

الخاتمة

شـكّلت العلاقات الروسـية–الأوكرانية خلال الفترة ٢٠٠٤–٢٠١٩عاملاً حاسمًا في تحديد مسار مولدوفا ونزاع ترانسنيستريا، فقد انعكست فترات التوتر أو الانفراج بين روسـيا واوكرانيا مباشـرةً على أمن مولدوفا واسـتقرارها الاقتصـادي وموقعها الإقليمي، ودَفعتها لاسيما بعد ٢٠١٤ نحو تعزيز التكامل مع أوروبا لضمان الديمقراطية والأمن وفي حين بقي النزاع الترانسدنيستري مجمّدًا، ظل أداة بيد روسيا للضغط والحفاظ على نفوذها، مع دور أوكراني مهم في ضبط توازناته.

العلاقات الروسـية–الأوكرانية المتدهورة خلال ٢٠١٤–٢٠١٩نقلت مولدوفا من هامش التوازن الرمادي إلى تماسٍّ أشـد مع صـراعات الإقليم؛ فزادت أهمية ترانسنيستريا كـ"ورقة جيوسياسية" بالنسبة لروسيا، وكثغرة أمنية بالنسبة لأوكرانيا، وكقضية سيادة وحدود وطاقة بالنسبة لمولدوفا وبالمقابل دفعت هذه الضغوط مولدوفا لتعميق أدواتها الأوروبية كوسـيلة تقليل اعتمادها على ترتيبات ما بعد الاتحاد السوفيتي، مع بقاء خطر الانزلاق قائمًا ما دامت الحرب الروسية–الأوكرانية تفرض منطقها على المنطقة. أثبت الوجود العسكري الروسي المستمر في ترانسنيستريا أنه عنصـر حاسـم في إبقاء النزاع مجمّدًا، مما منح موسـكو أداة نفوذ فعالة للتأثير في القرار السيادي المولدوفي والحدّ من اندماج البلاد الكامل في الفضـاء الأوروبي. كما أن تصـاعد التوترات الروسـية-الأوكرانية، خصـوصًـا بعد عام ٢٠١٤، أعاد إبراز الأهمية الاستراتيجية لهذا الإقليم بوصفه نقطة تماس حساسة في أمن أوروبا الشرقية، ودفع مولدوفا إلى تعزيز تعاونها مع الشـركاء الغربيين، بما في ذلك مؤسـسـات مثل حلف شمال الأطلسي، دون أن تكون عضوًا فيه.

أظهرت الأزمات المتكررة بين موسكو وكييف هشاشة اعتماد مولدوفا على طرق الطاقة والتجارة المرتبطة بروسيا وأوكرانيا، وهو ما عجّل في توجهها نحو تنويع الشراكات والأسواق، لا سيما عبر تعميق علاقاتها مع الاتحاد الأوروبي .

المصادر،

أولا، المصادر العربية،

١. اوزيلي، بيترسون،(٢٠٢٢)، العواقب الاقتصادية العالمية للغزو الروسي لأوكرانيا، المجلة الالكترونية لشبكة البحوث الاجتماعية والنفسية، العدد١٠.
٢. بردودي، خديجة (٢٠١٥)، السياسة الخارجية الروسية اتجاه الازمة الأوكرانية ٢٠٠٤-٢٠١٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الحقوق، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، الجزائر.
٣. صابر، علي صباح (٢٠٢٢)، الازمة الروسية الأوكرانية الأسباب والتداعيات، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد٣٥، الجامعة العراقية، ٢٠٢٢.
٤. الصوراني، فهيم (٢٠٢٥)، حسابات التوتر في إقليم ترانسنيستريا بعد ٣٠ عاما من الهدوء، مقال منشور على موقع الجزيرة الإخبارية، ٢٠٢٤، متوفر على الرابط، https،www.aljazeera.net/politics//، تم الدخول في ٢٢-٧-٢٠٢٥.
٥. ليفنغستون، مارك، (٢٠٢٥)، مولدوفا، بلد صغير محايد في مفترق الطرق بين الاتحاد الأوروبي وروسيا، ترجمة، هالة فراج، معهد سويس انفو، سويسرا، ٢٠٢٥.
٦. ماركسين، كريستيان (٢٠٢٢)، ازمة القرم من وجهة نظر القانون الدولي العام، ترجمة، اكرم مصطفى الزغبي، معهد ماكس بلانك للقانون العام، هايدلبرغ.

٧. مخيمر، أسامة فاروق (٢٠٢٣)، تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على الامن الأوروبي دراسة للتغيرات في مفهوم وقضايا الامن بعد الحرب الباردة، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، جامعة بني سويف، العدد١٧.

٨. خزار، صـــهيب (٢٠٢١)، اســتراتيجية الامن القومي الروســي تجاه الجوار الأوروبي دراســة حالة أوكرانيا، أطروحة دكتوراه (غير منشــورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر.

٩. حيـدر، ميـادة علي (٢٠٢٠)، أوكرانيـا في الادراك الروســي الأمريكي الأوروبي دراسة في الازمة الأوكرانية ٢٠١٤-٢٠١٨، مجلة قضـايا سياسية ، العدد٦٠، جامعة النهرين.

١٠. منصور، محمد، (٢٠٢٢)، إقليم "ترانسنيستريا".. بؤرة تصعيد جديدة شــرقي أوروبا، مقال منشــور على موقع الاشــراق، متوفر على الرابط، https،//aleshraqtv.iq/wtar-detail.aspx?jimare=2858، تم الدخول في ٢٩-٨-٢٠٢٥.

References

1. Ozili, Peter & Peterson (2022). *The Global Economic Consequences of the Russian Invasion of Ukraine.* Electronic Journal of the Social and Psychological Research Network, Issue No. 10.

2. Bardoudi, Khadija (2015). *Russian Foreign Policy toward the Ukrainian Crisis (2004–2014).* Unpublished Master's Thesis, Faculty of Law, University of 8 May 1945, Algeria.

3. Saber, Ali Sabah (2022). *The Russian–Ukrainian Crisis: Causes and Implications.* International Journal of Humanities and Social Sciences, Issue No. 35, Al-Iraqia University.

4. Al-Surani, Faheem (2025). *Tensions in the Transnistria Region after 30 Years of Calm.* Article published on Al Jazeera News Website, 2024.:https://www.aljazeera.net/politics

5. Livingstone, Mark (2025). *Moldova: A Small Neutral Country at the Crossroads between the European Union and Russia.* Translated by Hala Faraj. Swissinfo Institute, Switzerland, 2025.

6. Marxsen, Christian (2022). *The Crimea Crisis from the Perspective of Public International Law.* Translated by Akram Mustafa Al-Zughbi. Max Planck Institute for Comparative Public Law and International Law, Heidelberg.

7. Mokhaimer, Osama Farouk (2023). *The Impact of the Russian–Ukrainian War on European Security: A Study of Changes in the Concept and Issues of Security after the Cold War.* Journal of the Faculty of Politics and Economics, Beni Suef University, Issue No. 17.

8. Khazzar, Sohaib (2021). *Russian National Security Strategy toward the European Neighborhood: The Case of Ukraine.* Unpublished Doctoral Dissertation, Faculty of Political Sciences, University of Algiers.

9. Haider, Mayada Ali (2020). *Ukraine in Russian, American, and European Perceptions: A Study of the Ukrainian Crisis (2014–2018).* Political Issues Journal, Issue No. 60, Al-Nahrain University.

10. Mansour, Mohammed (2022). *The "Transnistria" Region: A New Flashpoint of Escalation in Eastern Europe.* Article published on Al-Eshraq Website. Available at: https://aleshraqtv.iq/wtar-detail.aspx?jimare=2858 (Accessed: 29 August 2025).

ثالثا: المصادر الأجنبية،

1. AZİZ GÖKSAL YILMAZ، (2024)، DIASPORA GEOPOLITICS AND ITS EFFECTS ON STATES' FOREIGN POLICY PRODUCTION PROCESSES، THE TRANSDINISTER، CRIMEA، AND DONBASS CRISES، PHD THESIS، ISTANBUL.
2. Daniel F. Runde and Thomas Bryja، (2024)، Moldova’s Fate Is Tied to Ukraine’s، Now Is the Time for the West to “Go Big” on Moldova، Center for Strategic and International Studies (CSIS).
3. Emerson، M.، & Vahl، M. (2014). Moldova and the Transnistrian conflict. Bruno Coppieters et al.، Europeanization and Conflict Resolution–Case Studies from the European Periphery، Ghent، Academia Press and the Journal of Ethnopoliticsa and Minorities in Europe.
4. Halitoğlu، İ. (2018). Crisis Zones in the Commonwealth of Independent States in the Context of Conflict Resolution Theory، Crimea and Transnistria Problems (Doctoral dissertation، Sakarya University (Turkey)
5. Ivan RADU، (2019)، SEPARATISM IN THE POST-SOVIET GEOGRAPHY AND RUSSIAN INTERVENTIONISM، THE CASE OF TRANSNISTRIA، Master’s Thesis، Ankara.
6. Köller، F. A.، & Scherbak، ٢٠٢٢. The conflict in Transnistria، historical roots and perspectives for resolution.

7. Makhluha ALLAKHVERDIIEVA، (2023)، GUAM ÜLKELERİNE (GÜRCİSTAN، UKRAYNA، AZERBAYCAN، MOLDOVA) YÖNELİK AVRUPA KOMŞULUK POLİTİKASININ GELİŞTİRİLMESİ، Sosyal Bilimler Enstitüsü، İZMİR.

8. Miklasová، J. (2022). Status of Transnistria Under International Law. In Global Encyclopedia of Territorial Rights. Cham، Springer International Publishing.

9. Rogstad، A. (2018). The next Crimea? getting Russia's Transnistria policy right. *Problems of Post-Communism*، *65*(1).

10. Telenko، O.، & Prysiazhniuk، Y. (2021). Cursory Viewpoint on Transnistria as the Focus of the Russian Federation Policy. *Przegląd Strategiczny*، (14).

11. Ukraine supports the Russian position on Transnistria، 2010، https،//www.osw.waw.pl/en/publikacje/analyses/2010-05-19/ukraine-supports-russian-position-transnistria.

12. Luciani، G. (2015). EU-Russia gas blues. Journal of International Affairs، 69(1)، 19-33.

13. Yılmaz، H. K، The Ukraine war and the Public Diplomacy Performance of Russia and Ukraine (Master's thesis، Middle East Technical University (Turkey))، 2023.